د. أنطوان معلوف



الأقزام والعمالقة
و
بائعة الكبريت الصّغيرة

دار المكتبة الأهليّة

سلسلة حكايات عالميّة

(٢)

كتابة

د. أنطوان معلوف

الناشر

دار المكتبة الأهلية

الإشراف الفنّي

سلام أسود

تنفيذ ماكيت

لور بلّان

التوزيع

دار المكتبة الأهلية

تلفون: الزوق : ٠٩/٢١٤١٤٤

٠٩/٢١٤١٤٥

فاكس : ٠٩/٢١٣٤٩٩

الدكوانة: ٠١/٤٩٥٠٦٥

٠٣/٦٦٥١٨٧

خليوي : ٠٣/٢١٧٨٥٨

الأقزام والعمالقة



بائعة الكبريت الصّغيرة



دار المكتبة الأهلية

توطِئَة

عزيزي الطّالبُ

هٰذِهِ الحِكاياتُ عُمْرُها مِئاتُ السِّنين ، رَوَتْها شُعوبٌ مُخْتَلِفَةٌ ، في أَنْحاءِ العالَمِ قاطِبةً . وقدْ سَمِعها أو قرأها أو شاهدَها على الشّاشاتِ الكبيرةِ والصّغيرةِ مَلايينُ النّاسِ.

وقَدْ أعادَ الكاتِبُ تأليفَها على مِزاجِهِ ، وجَعَلَها قَريبةً منْ أَجْواءِ بلادِنا .

ونَصيحتي إليكَ ، حتّى تَجْنيَ مِنها مَزيدًا من المِتْعَةِ والفائِدةِ معًا ، أن تَبْحَثَ بنَفْسِكَ في القاموسِ عنْ مَعاني المُفْرَداتِ الصَّعْبَةِ ، وتَقْتَنيَ دَفترًا مُقسَّمًا على حروفِ الألِفْباءِ فتَنْقُلَ تلكَ المُفْرَداتِ والمعاني إليهِ حتّى يَصيرَ بينَ يَدَيْكَ قاموسٌ خاصٌّ بكَ .

ونَصيحتي أيْضًا ان تَنْقُلَ إلى دَفْترٍ آخرَ أَجْمَلَ العِباراتِ الَّتي تَلْفِتُك ، وتُسمّيَ الدَّفْترَ «التَّعابيرُ الجَميلةُ» مِن مِثْلِ «شَجَرةٌ وارِفَةُ الظِّلِّ» ، «هٰذِهِ الحَديقةُ جنّةٌ غنّاءُ» ؛ أَو مَقاطعَ أجادَ الكاتبُ فيها ...

وقدْ أَلْحَقْنا بكلِّ حِكايةٍ ثَلاثَةَ أنواعٍ منَ التّمارينِ ، الأوّلُ يُسْعِفكَ عَلى فَهْمِ النَّصِّ والإفادةِ منهُ لُغةً وإنْشاءً ، والثّاني يُنَشِّطُ لديكَ الرّغْبَةَ في الابْتِكار ، تَفْكيرًا وخَيالًا وكتابةً ، والثّالثُ يُمكِّنُ مَلَكَةَ اللُّغةِ عندكَ ...

وشكرًا

الأقزامُ والعمالقة

... في غابةٍ مِنْ غاباتِ أسوجَ (السُّويد) ، كانَتْ تَقومُ ، في الماضي البَعيدِ ، قَرْيَةٌ غَريبَةٌ عَجيبَةٌ .

كانَ في تِلْكَ القَرْيَةِ حَيّانِ ، تَفْصِلُ بَيْنَهُما السّاحَةُ العامَّةُ .

... وَكانَ ، عَنْ يَمينِ السّاحَةِ ، حَيُّ الأَقْزامِ ، وَهُمْ ناسٌ قِصارُ القاماتِ ، تَخالُهُمْ ، لِلْوَهْلَةِ الأُولى ، أَطْفالًا لَمْ يَبْلُغوا الخامِسَةَ مِنْ عُمْرِهِمْ . لٰكِنَّكَ ، حينَ تَقْتَرِبُ مِنْهُمْ وَتَقَعُ عَيْنُكَ عَلى قَزَمٍ مِنْهُمْ كَلَّلَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ ، وَسَقَطَتْ أَسْنانُه ، تَعْرِفُ أَنَّهُ رَجُلٌ طاعِنٌ في السِّنِّ ، لٰكِنَّ جِسْمَهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ في العُمْرِ مَعْهُ فَبَقِيَ طِفْلًا . أَمّا بُيوتُهُمْ ، وَهِيَ أَكْواخٌ صَغيرَةٌ مِنْ غُصونِ الشَّجَرِ ، فَإِنَّكَ تَحْسَبُها مَنازِلَ الدَّجاجِ .





وَعَنْ يَسارِ السّاحَةِ العامَّةِ ، تَرْتَفِعُ بُيوتُ العَمالِقَةِ .

وَشَتّانَ ما بَيْنَها وَبَيْنَ أَكْواخِ الحَيِّ المُقابِلِ . إِنَّها أَشْبَهُ بِالحُصونِ ، أَبوابُها عالِيَةٌ، وَسُقوفُها وَسُطوحُها تُلاعِبُ الغَيْمَ أَحْيانًا ، وَالغُرَفُ فَسيحَةٌ كَالمَلاعِبِ لِأَنَّ سُكّانَها طِوالُ القاماتِ في عُلوِّ أَشْجارِ الصَّنَوْبَرِ .

وَيَقينًا لَوْ أَنَّ هٰذِهِ القَرْيَةَ عَمَّها السَّلامُ ، لَكانَتْ مِنْ أَطْرَفِ القُرى ، لا في أسوجَ وَحَسْبُ ، بَلْ في العالَمِ بِأَسْرِهِ ، وَلَكانَتْ مَقْصِدًا لِلسُّيّاحِ يَتَهافَتونَ عَلَيْها مِنْ أَقاصي المَعْمورَةِ لِيَتَفَرَّجوا عَلى نَوْعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنَ البَشَرِ ، حَتّى إِنَّنا لَوْ وَضَعْنا قَزَمًا فَوْقَ قَزَمٍ فَوْقَ ثالِثٍ لَما بَلَغَ الثَّلاثَةُ خَصْرَ واحِدٍ مِنْ جيرانِهِمِ العَمالِقَةِ .

وَلٰكِنْ ، وَيا لِلْأَسَفِ ، كانَ الفَريقانِ يَتَباغَضانِ وَبَيْنَهُما مُشاحَناتٌ دائِمَةٌ ، وَخُصومَةٌ لا تَهْدَأُ . وَهٰذا ما جَعَلَ النّاسَ يَتَساءَلونَ قائِلينَ : «أَلَيْسَ مِنَ السَّهْلِ عَلى العَمالِقَةِ القَضاءُ عَلى الأَقْزامِ أَو طَرْدُهُمْ مِنَ الغابَةِ ؟» .

وَالجَوابُ أَنَّ العَمالِقَةَ كانوا ، عَلى الرَّغْمِ من ضَخامَةِ أَبْدانِهِمْ ، صِغارَ العُقولِ . أَمّا الأَقْزامُ فَقَدْ كانوا مِنْ أَهْلِ الذَّكاءِ ، يَتَوَسَّلونَ الحيلَةَ عَلى جيرانِهِمْ حينَ تُعْوِزُهُمُ القُدْرَةُ عَلَيْهِمْ .



في مَساءِ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ الشِّتاءِ ، اِلتَمَّ شَمْلُ الأَقْزامِ حَوْلَ زَعيمِهِمْ ، وَتَحَلَّقوا حَوْلَ النّارِ يَصْطَلونَها طَلَبًا لِلدِّفْءِ لِأَنَّ البَرْدَ كانَ قارِسًا .

وَأَشارَ عَلَيْهِمِ الزَّعيمُ بِالصَّمْتِ ، وَسَأَلَ :

ـ كَمْ يَفْصِلُنا عَنِ العيدِ الكَبيرِ ؟

فَرَفَعَ شَيْخٌ رَأْسَهُ نَحْوَ السَّماءِ ، وَراحَ يَتَأَمَّلُ في غُيومِها كَأَنَّهُ يَقْرَأُ فيها مَواعيدَ الفُصولِ وَالأَعْيادِ ، ثُمَّ أَجابَ بِصَوْتٍ عَميقٍ :

ـ يَفْصِلُنا عَنِ العيدِ أُسْبوعانِ فَقَطْ .

وَعادَ الزَّعيمُ يَسْأَلُهُمْ :

ـ هَلْ بَدَأْتُمْ تَسْتَعِدّونَ لِلْاِحْتِفالِ بِالعيدِ ؟

وَارْتَبَكَ الحُضورُ ، وَهَمْهَموا ، ثمَّ خَيَّمَ عَلَيْهِمْ صَمْتٌ ثَقيلٌ وَكَأَنَّهُمْ لا يَمْلِكونَ جَوابًا . وَبَعْدَ فَتْرَةٍ ، فَتَحَ الشَّيْخُ ، قارِىءُ الغُيومِ ، فاهُ وَقالَ :

ـ أَنْتَ أَدْرى النّاسِ ، أَيُّها الزَّعيمُ ، بِما تُكَلِّفُ الأَعْيادُ مِنْ مالٍ . أَلَيْسَ مِنْ عاداتِنا، قَبْلَ حُلولِ العيدِ الكَبيرِ ، أَنْ نُرَتِّبَ بُيوتَنا ، وَنَبْتاعَ لَنا وَلِأَوْلادِنا ثِيابًا قَشيبَةً ، ناهيكَ بِالْحَلْوى وَالفاكِهَةِ ، وَاللُّحومِ ، وَالبُقولِ وَالخُضَرِ ؟

وَحينَ سَكَتَ الشَّيْخُ ، طَلَبَ قَزَمٌ مِنَ الشَّبابِ الإِذْنَ بِالكَلامِ ، ثُمَّ قالَ :

ـ كانَ فَصْلُ الشِّتاءِ وما زالَ قاسِيًا عَلَيْنا ، وَقَدْ أَنْفَقْنا ما في جُيوبِنا على شِراءِ ما يَرُدُّ عَنّا غائِلَةَ البَرْدِ وَالجوعِ .

وَقالَ رَجُلٌ آخَرَ :

ـ وَحينَ تَراكَمَتِ الثُّلوجُ وَسُدَّتِ الطُّرُقُ ، وَراحَ الجَليدُ يَتَكَدَّسُ على المَراعي ، نَفَقَ الكَثيرُ مِنْ رُؤوسِ الغَنَمِ وَالبَقَرِ صَقيعًا وَجوعًا ...

وَرانَ الصَّمْتُ عَلى الأَقْزامِ وَكَأَنَّهُمْ اسْتَسْلَموا لِليَأْسِ . وَراحَ زَعيمُهُمْ يُجيلُ طَرْفَهُ عَلى وُجوهِهِم الكَئيبَةِ ، ثُمَّ قالَ :

ـ أَراكُمْ وَكَأَنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْهَزيمَةِ . أَلا تَعْلَمونَ أَيْضًا أَنَّنا ، مَعْشَرَ الأَقْزامِ ، مَتى أَلَمَّتْ بِنا مُصيبَةٌ ، تَخَلَّصْنا مِنْها بِالفِطْنَةِ وَالذَّكاءِ ؟

وَاعْتَرَضَ آخَرُ وَقالَ :

ـ لٰكِنَّ الذَّكاءَ لَمْ يُجْدِ نَفْعًا ، مِنْذُ شَهْرَيْنِ ، حِينَ هَجَمَ عَلَينا العَمالِقَةُ بَغْتَةً ، فَغافَلونا وَنَحْنُ نِيامٌ ، فَسَرَقوا الخِزانَةَ العامَّةَ الَّتي نَضَعُ فيها ما نَمْلِكُ مِنْ ذَهَبٍ وَجَواهِرَ ، وَنَدْفِنُها تَحْتَ الأَرْضِ إِلى وَقْتِ الحاجَةِ .

وَهَبَّ قَزْمٌ شابٌّ واقِفًا وَصاحَ بِحِدَّةٍ :

ـ وما نَنْتَظِرُ حَتّى نَسْتَرْجِعَ الخِزانَةَ العامَّةَ ؟ وَمَتى كانَ مِنْ عادَتِنا أَنْ نَرْضى بِالهَزيمَةِ ؟ ها قَدِ اِقْتَرَبَتْ أَيّامُ العيدِ ، وَنِساؤُنا وَبَناتُنا في حاجَةٍ إِلى الحِلى وَالجَواهِرِ . عَلَيْنا القِيامُ بِعَمَلٍ ما ، عاجِلًا .

وَسَرَتْ في الجَماعَةِ هُمْهُماتٌ بَيْنَ مُؤَيِّدٍ وَمُعارِضٍ . وَقالَ القَزْمُ الشَّيْخُ :

ـ إِعْلَمْ أَيُّها الفَتى أَنَّ العَمالِقَةَ وَضَعوا الخِزانَةَ في مَغارَةٍ ، وَسَدّوا بابَ المَغارَةِ بِصَخْرَةٍ كَبيرَةٍ لا نَقْدِرُ عَلى زَحْزَحَتِها حَتّى لَوْ تَكاتَفْنا شِيبًا وَشُبّانًا ، نِساءً وَرِجالًا .

وَتَفَرَّسَ الزَّعيمُ في القَزَمِ الفَتى ، وَقالَ يُخاطِبُه بِصَوْتٍ عَميقٍ :

ـ هٰذا صَحيحٌ . لٰكِنّي عَلِمْتُ أَنَّ العَمالِقَةَ يُزيحونَ الصَّخْرَةَ عَنْ باب المَغارَةِ وَيَدْخُلونَها ، لَيْلَةَ العيدِ ، لِلْفُرْجَةِ عَلى الجَواهِرِ ، ثُمَّ يَخْتارونَ مِنْها عُقودًا وَأَساوِرَ وَخَواتِمَ تَتَزَيَّنُ بِها نِساؤُهُمْ أَيّامَ العيدِ .

وَشَعَرَ الفَتى أَنَّ الكَلامَ يَعْنيهِ وَحْدَهُ دونَ رِفاقِهِ ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ سائِلًا الجَماعَةَ :

ـ هَلْ يَعْلَمُ أَحَدُكُمْ كَيْفَ السَّبيلُ إِلى المَغارَةِ ؟

وَراحَ الأَقْزامُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ حائِرينَ ، ثُمَّ خَفَضوا رُؤوسَهُمْ عاجِزينَ عَنِ الجَوابِ . وَارْفَضَّ مَجْلِسُهُمْ حينَ نَهَضَ الزَّعيمُ مُنْصَرِفًا ، وَقَدْ بَدا اليَأْسُ عَلَيْهِمْ جَميعًا ، وَأَعْيَتْهُمُ الحيلَةُ ... إِلّا القَزَمُ الفَتى ، فَقَدْ بَقِيَ مَكانَهُ غارِقًا في تَفْكيرٍ عَميقٍ . وَكانَ اسْمُهُ «وولف» ...

وَكانَ «وولفْ» قَدْ وَعَدَ خَطيبَتَهُ الحَسْناءَ بِأَنْ يُقَدِّمَ إِلَيْها ، بِمُناسَبَةِ العيدِ ، هَدِيَّةً مِنْ جَواهِرَ وَذَهَبٍ . وَقَدْ عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَحْنَثَ بِوَعْدِهِ ، وكانَ لا يَمْلِكُ المالَ الكافِيَ . ما العَمَلُ ؟ لا بُدَّ مِنْ حيلَةٍ تَسْمَحُ لَهُ بِالدُّخولِ إِلى المَغارَةِ ، وَاسْتِرْجاعِ خِزانَةِ الأَقْزامِ ...

وَصَرَفَ «وولفْ» اللَّيْلَ بِطولِهِ وَهُوَ يُفَكِّرُ بِالأَمْرِ .

وَعِنْدَ الفَجْرِ ، وَهُوَ بَيْنَ صاحٍ وَنائِمٍ ، خَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ جَريئَةٌ ؛ فَنَهَضَ واقِفًا وَانْصَرَفَ فَوْرًا إِلى التَّخْطيطِ لَها قَبْلَ تَنْفيذِها . وَإِلَيْكَ ما فَعَلَ لَيْلَةَ العيدِ :

ما إِنْ حَلَّ مَساءُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، حَتَّى كانَ «وولفْ» يَسوقُ ـ نَحْوَ المَغارَةِ ـ ثَلاثَةَ حَميرٍ ، عَلى ظَهْرِ كُلٍّ مِنْها جِرارٌ مِنْ فَخّارٍ مَليئَةٌ بِالخَمْرِ .

وَقَدْ سَلَكَ إِلى المَكانِ طَريقًا جانِبِيَّةً ، فَلَمْ يَلْفِتْ إِلَيْهِ أَحَدًا مِنَ العَمالِقَةِ .

وَوَضَعَ جِرارَ الخَمْرِ عِنْدَ بابِ المَغارَةِ في ظِلِّ الصَّخْرِ الكَبيرِ ، ثُمَّ تَسَلَّقَ المَغارَةَ ، وَكَمَنَ مُخْتَبِئًا خَلْفَ عَوْسَجَةٍ نابِتَةٍ فَوْقَها ، بِحَيْثُ يَرى وَلَا يُرى .

وَعِنْدَ هُبوطِ اللَّيْلِ ، ضَجَّتْ تِلْكَ النّاحِيَةُ مِنَ الغابَةِ بِأَصْواتِ العَمالِقَةِ ، وَوَقْعِ أَرْجُلِهِمْ ، وَضَحِكاتِهِمْ . وَكَتَمَ «وولفْ» أَنْفاسَهُ ، وَراحَ يُراقِبُهُمْ وَهُوَ خافِقُ القَلْبِ يَكادُ أَحْيانًا يَتَمَنّى أَنْ تَنْشَقَّ الأَرْضُ فَتَبْتَلِعَه أَوْ تَبْتَلِعَهُمْ .

وَحينَ انْشَقَّتْ عَنْهُمْ غُصونُ الشَّجَرِ العالِيَةِ وَبَرَزوا بِقاماتِهِمِ الشّاهِقَةِ ، وَكانَ يَتَقَدَّمُهُمْ مَلِكُهُمْ ، عَلى رَأْسِهِ التّاجُ وَفي يَدِهِ الصَّوْلَجانُ ، لَمَحَ بَعْضُهُمُ الحَميرَ الثَّلاثَةَ وَصاحَ قائِلًا : «أُنْظُروا هُناكَ !» ، وَتَنَبَّهَ الحَميرُ فَأَرْسَلَ كَبيرُها نَهيقًا صاخِبًا وَكَأَنَّهُ يُرَحِّبُ بِالعَمالِقَةِ ، وَيَدْعوهُمْ إِلى الجِرارِ .



وَحينَ تَحلَّقَ هؤُلاءِ حَوْلَ الحَميرِ ، تَقَدَّمَ المَلِكُ فانْشَقّوا صَفَّيْنِ عَنْ يَمينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ ، فَتَقَدَّمَ وَانْحَنى بِرَأْسِهِ نَحْوَ إِحْدى الجِرارِ وَلامَسَ بِأَنْفِهِ فَمَ إِحْداها وَتَنَشَّقَ رائِحَتَها مَلِيًّا ، وَالجَميعُ إِلَيْهِ شاخِصونَ . وَانْبَسَطَتْ أَساريرُ المَلِكِ ، فَخَلَعَ عَنْ فَمِ الجَرَّةِ سُدادَةً مِنَ الخَشَبِ ، فَفاحَتْ رائِحَةُ الشَّرابِ فَتَهَلَّلَتْ وُجوهُ القَوْمِ بِشْرًا . وَرَمى المَلِكُ السُّدادَةَ في الجَوِّ ، فَطارَتْ كَالْبَرْقِ عالِيًا ، ثُمَّ سَقَطَتْ كَالصّاعِقَةِ فَوْقَ رَأْسِ «وولف» ، فَعَلِقَتْ بَيْنَ غُصونِ العَوْسَجَةِ ، وَلَوْلاها لَكانَتْ طَحَنَتْ رَأْسَ القَزَمِ المِسْكينِ . وَكادَ يُغْمى عَلَيْهِ ، فَقالَ في نَفْسِهِ : «لا شَكَّ أَنَّ المَلِكَ أَدْرَكَ الحيلَةَ وَعَرَفَ أَيْنَ أَخْتَبِئُ ، وَها إِنَّ ساعَتي قَدْ دَنَتْ !» . وَسَمِعَ فَجْأَةً

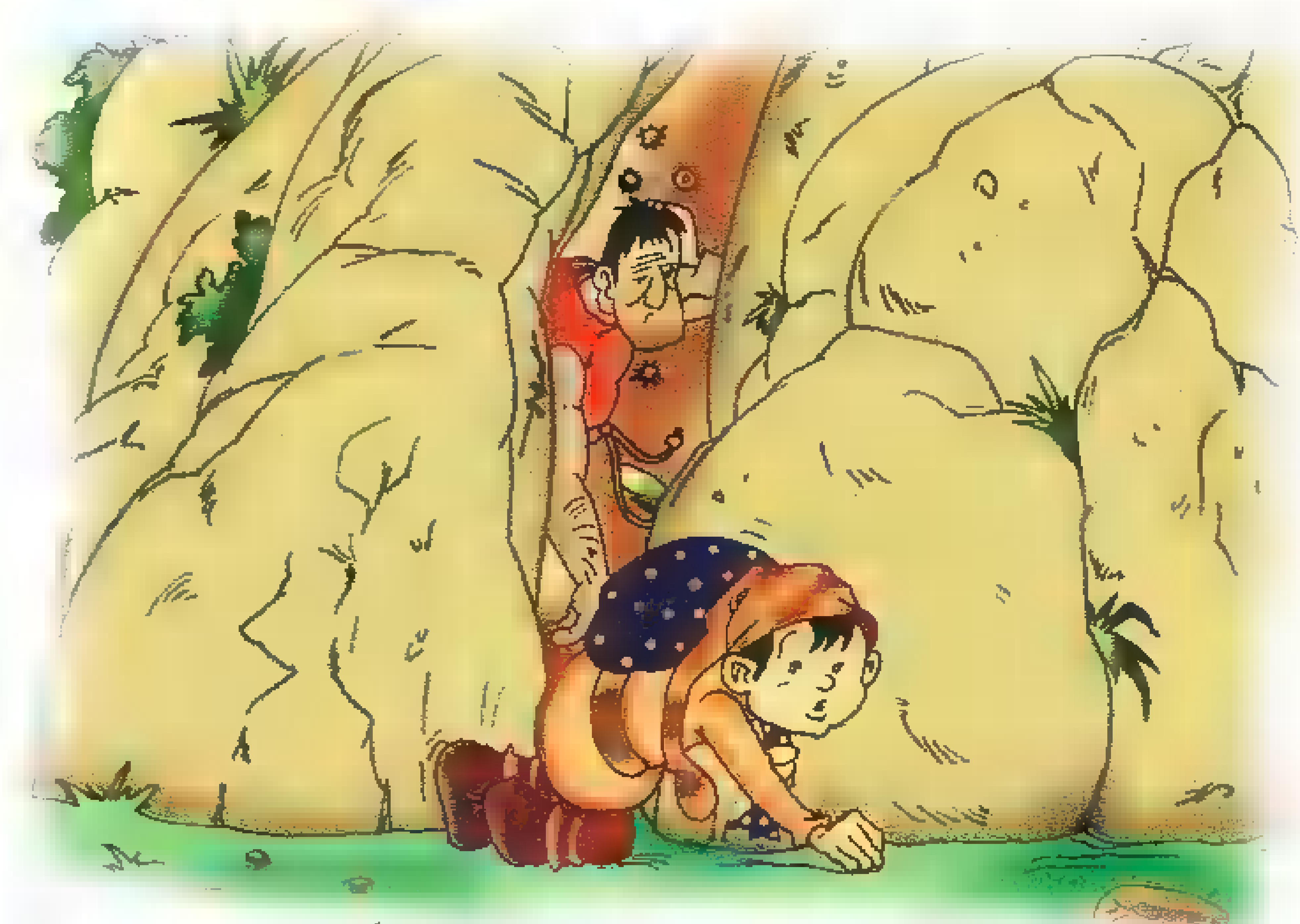
صَيْحَةَ اِسْتِحْسانٍ دَوَتْ في الجَوِّ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَدْ عادَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ ، فَأَبْصَرَ المَلِكَ وَقَدْ رَفَعَ الجَرَّةَ فَوْقَ رَأْسِهِ وَمالَ بِعُنُقِها نَحو فَمِهِ ، فَانْدَفَعَ مِنْها سَيلٌ مِنَ الشَّرابِ ، اِنْحَدَرَ في شِدْقِهِ اِنْحِدارَ الشَّلّالِ في وَهْدَةٍ عَميقَةٍ ، وَتَهافَتَ العَمالِقَةُ عَلى الجِرارِ الباقِيَةِ فَفَعَلوا مِثْلَ زَعيمِهِمْ .

وَحينَ أَفْرَغوا في حُلوقِهِمْ وَبُطونِهِمْ آخِرَ نُقْطَةٍ مِنَ الجِرارِ ، بانَ عَلَيْهِمْ أَثَرُ الشَّرابِ فَزاغَتْ عُيونُهُمْ وَكَأَنْ أَصابَهُمْ مَسٌّ مِنَ الجُنونِ . وَتَنَهَّدَ «وولفْ» اِرْتِياحًا ، وَقالَ في نَفْسِهِ : «الحَمْدُ للهِ . إِنَّهُمْ لَمْ يَتَساءَلوا عَنِ الجِرارِ وَمَنْ أَتى بِها عَلى ظُهورِ الحَميرِ . صَحيحٌ أَنَّهُمْ كِبارُ الجُثَّةِ ، صِغارُ العُقولِ .» وَارْتَجَّتِ الأَرْضُ فَجْأَةً ، وَنَظَرَ فَرَأَى الصَّخْرَةَ الكَبيرَةَ تَتَدَحْرَجُ عَنْ بابِ المَغارَةِ ...

وَما إِنْ تَوارى آخِرُ عِمْلاقٍ في جَوْفِها حَتّى هَبَّ «وولفْ» واقِفًا وَراحَ يَنْحَدِرُ نَحْوَ الأَسْفَلِ وَهُوَ يَتَلَفَّتُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَقَدْ صَمَّمَ عَلى دُخولِ المَغارَةِ وَالبَحْثِ عَنْ خِزانَةِ الأَقْزامِ العامَّةِ مَهْما كانَ الأَمْرُ ...

وَدَخَلَها عَلى رُؤُوسِ أَصابِعِ قَدَمَيْهِ مُتَسَلِّلًا كَالشَّبَحِ الصَّغيرِ . وَكانَ العَمالِقَةُ يَرْقُصونَ طَرَبًا ، وَيَرْفَعونَ أَصْواتَهُمُ الغَليظَةَ بِالغِناءِ وَقَدْ تَحَلَّقوا دائِرينَ حَوْلَ أَكْداسٍ مِنَ الجَواهِرِ وَالذَّهَبِ يَخْلِبُ بَريقُها الأَبْصارَ .

وَكانَ «وولفْ» قَدْ رَأَى خِزانَةَ الأَقْزامِ قَبْلَ أَنْ يَسْطوَ عَلَيْها العَمالِقَةُ ، فَراحَ يَبْحَثُ عَنْها في زَوايا المَغارَةِ وَهُوَ يَتَحاشى الجَمْعَ الهائِجَ في وَسَطِها . وَفَجْأَةً تَسَمَّرَ مَكانَهُ ، وَخَفَقَ قَلْبُهُ ، وَفَغَرَ فاهُ مِنَ الدَّهْشَةِ وَالغِبْطَةِ ، وَقَدْ وَقَعَ بَصَرُه عَلى



خِزانَةِ قَوْمِهِ مُلْقاةً عَلى الأَرْضِ في زاوِيَةٍ بَعيدَةٍ . وَما هِيَ إِلَّا لَمْحَةُ بَصَرٍ حَتّى أخذ يَجْثو ... عَلى رُكْبَتَيْهِ أَمامَها ، وَيَفْتَحُ بابَها دونَ عَناءٍ ...

وَحاولَ حَمْلَ الخِزانَةِ ، وَلٰكِنْ هَيْهاتِ !

إِنَّها ثَقيلَةٌ جِدًّا ، وَهُوَ عاجِزٌ حَتّى عَنْ زَحْزَحَتِها . ما العَمَلُ ؟ وَفَكَّرَ قَليلًا وَقَرَّرَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْها ما خَفَّ حِمْلُهُ وَغَلا ثَمَنُهُ ، وَيَنْصَرِفَ عائِدًا قَبْلَ أَنْ يَراهُ أَحَدٌ .

وكانَ قَدِ اِحْتاطَ لِلأَمْرِ ، فَتَناوَلَ مِنْ عُبِّهِ كيسًا مِنَ الكُتّانِ ، وَراحَ يَتَناوَلُ مِنَ الخِزانَةِ حِجارَةَ أَلْماسِ أَوَّلًا ، لِأَنَّها أَثْمَنُ الجَواهِرِ وَالحِجارَةِ الكَريمَةِ . وَاخْتارَ مِنَ الياقوتِ الأَحمرِ والفَيْروزِ الأَزْرَقِ وَالعَقيقِ وَالكُهْرَمانِ وَالمَرْجانِ ما طالَتْ يَدُهُ ، وَدَسَّها جَميعًا في الكيسِ ، وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يُغْلِقَ الخِزانَةَ مِنْ جَديدٍ حَتّى لا يُنَبِّهَ أَحَدًا إِلى عَمَلِهِ ، وَانْصَرَفَ كَما أَتى خَفيفًا كالطَّيْفِ ...

وَقفِلَ «وولفْ» راجِعًا بِالحَميرِ الثّلاثَةِ وَالجِرارِ الفارِغَةِ إلى حَيِّ الأَقْزامِ .

وَكانَ فَرَحُ قَوْمِهِ بِهِ يَفوقُ الوَصْفَ . وَقَدْ مَنَحَهُ زَعيمُهُمْ مِنْ مُجَوْهَراتِهِ عِقْدًا مِنَ اللُّؤْلُؤِ فَأَهْداهُ خَطيبَتَهُ الحَسْناءَ . وَفي لَيْلَةِ العيدِ الكَبيرِ خَرَجَتِ النِّساءُ إلى ساحَةِ الحَيِّ ، وَكُلٌّ مِنْهُنَّ تَبَرَّجَتْ بِشَيءٍ مِنَ الذَّهَبِ أَوِ الحِجارَةِ الكَريمَةِ ، فَلَمّا أَطَلَّ القَمَرُ مِنْ بَيْنَ الغُيومِ ، وَسَكَبَ ضَوْءَهُ عَلى الأَرْضِ ، فَانْعَكَسَ عَلى الجَواهِرِ ، فَسَطَعَتْ في الظَّلامِ ، بَدا لِلنّاظِرِ أَنَّ حَيَّ الأَقْزامِ مُعَلَّقٌ بَيْنَ سَماءَيْنِ ...

وَما زالَ يَبْدو لِلْمُتَأَمِّلِ في قِصَّةِ الأَقْزامِ وَالعَمالِقَةِ أَنَّ قُوَّةَ الإِنْسانِ لَيْسَتْ في طولِهِ وعَرْضِهِ ، بَلْ في رَأْسِهِ ...



إستثمار تربويّ

أوّلًا في فهم القصّة

١. أَصِفُ قَزَمًا خِلالَ النَّصِّ ، وَأُقارِنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدِ العَمالِقَةِ .

٢. كانَ باسْتِطاعَةِ القَرْيَةِ ، أَنْ تَكونَ مِنْ أَكْثَرِ القُرى طَرافَةً ، لِماذا ؟

٣. ما المُشْكِلَةُ الَّتي كانَ يُعاني مِنْها الأَقْزامُ مَعَ حُلولِ العيدِ ؟

٤. ما رَأْيُكَ بِعَمَلِ القَزَمِ «وولفْ» ؟

٥. هَلْ خافَ «وولفْ» في أَثْناءِ مُغامَرَتِهِ النّاجِحَةِ ؟ وَمَتى ؟

٦. ما العِبْرَةُ الَّتي نَسْتَمِدُّها مِنْ هٰذِهِ القِصَّةِ ؟

ثانيًا التَّعْبيرِ

١. ضَعْ تَصْميمًا لِلْقِصَّةِ مُتَّبِعًا الخُطُواتِ الآتِيَةَ :

أ ـ المُقَدَّمَةُ ب ـ تَطَوُّرُ الأَحْداثِ ج ـ الأَزْمَةُ ـ الحَلُّ .

٢. كَيْفَ بَدا عالَمُ كُلٍّ مِنَ الأَقْزامِ وَالعَمالِقَةِ ؟

٣. ما أَهَمُّ ما في الإِنْسانِ : طولُهُ ؟ لَوْنُهُ ؟ مالُهُ ؟ عَقْلُهُ ؟ ... أَعْتَمِدُ الحِكايَةَ في الإِجابَةِ .

٤. تَصَوَّرْ نِهايَةً حَزينَةً لِلْحِكايَةِ في عَشْرَةِ أَسْطُرٍ .

ثالثًا في اللُّغة

١. إِبْحَثْ عَنِ الفَرْقِ بَيْنَ «لٰكِنَّ» وَلٰكِنْ» وَاسْتَعْمِلْهُما في عِبارَتَيْنِ .

٢. عَلامَ يُبْنى فِعْلُ الأَمْرِ ؟ هاتِ أَمْثِلَةً مِنَ الحِكايَةِ .

٣. إِجْمَعِ الأَفْعالَ المُضارِعَةَ المَنْصوبَةَ ، وَاذْكُرْ سَبَبَ نَصْبِها .

٤. أَعْرِبْ :ـ يَرى وَلا يُرى

ـ إِنْشَقّوا صَفَّيْنِ .

ـ إِنَّها ثَقيلَةٌ وَهُوَ عاجِزٌ عَنْ زَحْزَحَتِها .

بائِعَةُ الكِبْريتِ الصَّغيرَةُ



... كانَ في مَدينَةٍ مِنْ بلادِ أسوجَ (السُّوَيْد) ، فَتاةٌ صَغيرَةٌ ، شَقْراءُ ، في غايَةِ الجَمالِ، وَفي غايَةِ الفَقْرِ مَعًا . وَكانَتْ يَتيمَةَ الأُمِّ ، لا تَتَذَكَّرُ وَجْهَ أُمِّها ، وَلا تَقولُ : «ماما» إِلّا في الأَحْلامِ ...
وَكانَ اسْمُ الفَتاةِ إِنْغْريدْ .

وَكانَ أَبوها عاطِلًا عَنِ العَمَلِ يَئِسَ مِنَ الحَياةِ بَعْدَ مَوْتِ زَوْجَتِهِ ، فَانْزَوى في بَيْتِهِ الحَقيرِ ، وَانْصَرَفَ إِلى حِرْفَةٍ لا تُكَلِّفُهُ مالًا ، حَتّى يَكْسِبَ ما يَسُدُّ بِهِ رَمَقَهُ ، وَيَقومَ بِأَوَدِ ابْنَتِهِ فَكانَ يَأْتي بِعُلْبَةٍ مِنَ الخَشَبِ يُزَيِّنُها بِرُسومٍ شَتّى ، زاهِيَةِ الأَلْوانِ ، ثُمَّ يَمْلأُها بِعيدانِ الكِبْريتِ . وَمَتى صارَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَجْموعَةٌ مِنْ تِلْكَ العُلَبِ دَفَعَها إِلى ابْنَتِهِ .

وَعِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ كانَتْ إِنْغريدْ تَحْمِلُ عُلَبَ الكِبْريتِ المُلَوَّنَة ، وَتَجولُ في شَوارِعِ المَدينَةِ تَعْرِضُها على المارَّةِ . وَكانَتْ تَلْبَسُ أَسْمالاً باليَةً ، وَيَنْسَدِلُ شَعْرُها الأَشْقَرُ على كَتِفَيْنِ هَزيلَتَيْنِ مِنَ الجوعِ ، فَيَرْثي بَعْضُهُمْ لِحالِها وَيَشْتَري عُلْبَةَ كِبْريتٍ . أَمّا مُعْظَمُهُمْ فكانوا لا يَلْتَفِتون إِلَيْها ، أَوْ يُشيحون بِنَظَرِهِمْ عَنْها ، وَكَأَنَّ مَنْظَرَ فَتاةٍ فَقيرَةٍ صَغيرَةٍ يُسَبِّبُ لَهُمُ الضِّيقَ وَالانْزِعاجَ .

وَكانَتْ في بَعْضِ الأَيّامِ تَعودُ الى البَيْتِ وَقَدْ ساءَ حَظُّها فَما باعَتْ وَلا كَسِبَتْ ، فَيَغْضَبُ أَبوها ، وَيَتَّهِمُها بِالبَلادَةِ ، فَتَنْطَرِحُ المِسْكينَةُ على فِراشِها الحَقيرِ ، مَنْهوكَةَ القُوى ، وَتَبْكي بِصَمْتٍ ، وَهِيَ تَرْتَجِفُ مِنْ قَسْوَةِ البَرْدِ ، لِأَنَّ مِدْفَأَةَ البَيْتِ كانَتْ خَرْساءَ دائِمًا ، لا حَطَبَ فيها وَلا نارَ ...





وَمَرَّتْ أَعْوامٌ عَلى تِلْكَ الحالِ . وَذاتَ عامٍ ، وَرَأْسُ السَّنَةِ يَقْتَرِبُ ، راحَ الأَوْلادُ يَمْلَأُونَ الشَّوارِعَ مَعَ أَهْلِهِمْ ، يَقْصِدونَ مَحَلّاتِ الأَحْذِيَةِ وَالثِّيابِ ، وَمَخازِنَ الهَدايا وَالأَلْعابِ ، وَيَخْرُجون مِنْها بِالأَكْياسِ المَلْأى ، وَهُمْ يَكادونَ يَطيرونَ مِنَ الانْشِراحِ وَالفَرَحِ .

وَإِنْغريد اليَتيمَةُ الفَقيرَةُ ، بائِعَةُ عُلَبِ الكِبْريتِ ، واقِفَةٌ عَلى الأَرْصِفَةِ تَتَأَمَّلُ فيهِمْ ، عَيْناها تَغُصّانِ بِالدَّمْعِ ، لا يَلْتَفِتُ إِلَيْها أَحَدٌ ، يَصْطَدِمُ بِها الأَوْلادُ أَنْفُسُهُمْ ، ولا يُعيرونَها اهْتِمامًا ، فَكَأَنَّهُمْ فَقَدوا باكِرًا مَشاعِرَ العَطْفِ الطَّيِّبَةِ .

وَلَمّا حَلَّتْ عَشِيَّةُ رَأْسِ السَّنَةِ ، كانَ والِدُ إِنْغريدْ قَدِ انْتَهى مِنْ تَزْيينِ عَشَراتِ العُلَبِ ، فَنادى ابْنَتَهُ ، وَقالَ لها :

ـ يا بُنَيّتي ، تَفْصِلُنا ساعاتٌ مَعْدودَةٌ عَنْ نِصْفِ اللَّيْلِ ، رَأْسِ السَّنَةِ الجديدَةِ . ولا شَكَّ في أَنَّ النّاسَ في الشَّوارِعِ يَشْتَرونَ ما تَبَقّى مِنْ أُهْبَةِ العيدِ . خُذي هٰذِهِ العُلَبَ مِنَ الكِبْريتِ ، وَلا تَرْجِعي إِلى البَيْتِ إِلّا وَقَدْ بِعْتِها جَميعًا . وَلا تَنْسَيْ أَنَّ اليَوْمَ هذا أَفْضَلُ مَواسِمِ البَيْعِ . تَنَشَّطي وَاسْتَغِلّي هٰذا الظَّرْفَ الثَّمينَ ...

وَحَمَلَتِ الفَتاةُ عُلَبَ الكِبْريتِ ، وَهِيَ تَقولُ :

ـ سَمْعًا وَطاعَةً يا أَبي ، سَوْفَ أُحاوِلُ بَيْعَها جَميعًا .

وَخَرَجَتْ وَهِيَ تَرْجو أَنْ تَلْقى النَّجاحَ ... لكِنَّ سوءَ الحَظِّ رافَقَها مُنْذُ الخُطْوَةِ الأُولى خارِجَ البَيْتِ .

ما إِن خَرَجَتِ المِسْكينَةُ منَ البَيْتِ ، حَتّى تَلَقَّتْها في الشّارِعِ عاصِفَةٌ مِنَ الرّيحِ عَنيفَةٌ ، وَمَطَرٌ غَزيرٌ . وَكانَ البَرْدُ قارِسًا حَتّى إِنَّ أَغْصانَ الشَّجَرِ كانَتْ تَرْتَجِفُ مِنْهُ . وَكانَتْ إِنْغريدْ لا تَرْتَدي مِنَ الثِّيابِ ما يَقيها لَسْعَ الصَّقيعِ ، فَاصْطَكَّتْ مِنْهُ رُكْبَتاها ، وَشَعَرَتْ بِأَنَّ يَدَيْها تَتَجَمَّدانِ حَوْلَ عُلَبِ الكِبْريتِ .

وَأَسْرَعَتْ تَتَوقّى المَطَرَ وَالرّيحَ تَحْتَ شُرُفاتِ المَنازِلِ . وَكانَتِ الشَّوارِعُ ، عَلى الرَّغْمِ مِنَ البَرْدِ ، تَغُصُّ بِالمارَّةِ يَدْلِفونَ إِلى المَتاجِرِ أَوْ يَخْرُجونَ مِنْها ، مُتَلَفِّعينَ بِالمَعاطِفِ ، اِتِّقاءً لِلْمَطَرِ المُنْهَمِرِ ، لا يَلْتَفِتونَ يَمينًا وَلا شَمالًا .

وَحاوَلَتْ أَنْ تَعْتَرِضَ سَبيلَ بَعْضِ السّابِلَةِ المُهَرْوِلينَ ، وَهِيَ تَبْسُطُ نَحْوَهُمْ يَدَيْها بِعُلَبِ الكِبْريتِ ، لكِنَّهُمْ تَجَنَّبوها مُتَأَفِّفينَ ، فيما سَقَطَ المَطَرُ عَلى العُلَبِ المُلَوَّنَةِ فَبَلَّلَها وَشَوَّهَ أَلْوانَها الزّاهِيَةَ . وَعادَتْ تَسْتَنِدُ إِلى جِدارٍ ، تَحْتَ شُرْفَةٍ عالِيَةٍ ، تَصيحُ بِصَوْتٍ مَنْغومٍ : «كِبْريتْ . عُلَبُ كِبْريتٍ مُلَوَّنَةٌ . كِبْريتُ رَأْسِ السَّنَةِ !» .

وَيَقْصُفُ الرَّعْدُ ، فَيَضيعُ صَوْتُها بَيْنَ البَرْقِ وَالرَّعْدِ وَصفيرِ الرّيحِ ، فَلا يَسْمَعُ نِداءَها أَحَدٌ ، وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيْها إِنْسانٌ ...

وَبَقِيَتْ ساعاتٍ عَلى تِلْكَ الحالِ حَتّى بَدَأَ نِصْفُ اللَّيْلِ يَقْتَرِبُ ، فَخَفَّتْ حَرَكَةُ النّاسِ في الشَّوارِعِ ، وَراحَتِ المَحَلّاتُ تُقفِلُ أَبْوابَها واحِدًا بَعْدَ آخَرَ ، وَالفَتاةُ لَمْ تُصادِفْ مَنْ يَشْتَري عُلْبَةً واحِدَةً ، وَأَنْهَكَها قَرْسُ البَرْدِ ، وَباتَتْ وَكَأَنَّ عِظامَها تَئِنُّ مِنَ الصَّقيعِ . وَكادَ يُصيبُها اليَأْسُ فَتَساءَلَتْ : «هَلْ أَبْقى في هذِهِ العاصِفَةِ عَبَثًا حَتّى أَقْضِيَ مِنَ البَرْدِ ؟ لا بُدَّ مِنَ العَوْدَةِ إِلى البَيْتِ . إِنّي قُمْتُ بِواجِبي وَلَمْ أُفْلِحْ ، فَما ذَنْبي ؟ ...» .



وَنَظَرَتْ فَأَلْفَتِ الشَّوارِعَ وَقَدْ خَلَتْ من النّاسِ ، فَأَيْقَنَتْ أَنَّ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ أَوْشَكَ وُقوعُهُ ، فَراحَتْ تَعْدو نَحْوَ بيتِها ، فَما بَلَغَتْهُ إِلّا وَالمَطَرُ بَلَّلَ شَعْرَها وَثِيابَها ، وَصارَتْ في حالَةٍ يُرْثى لَها ، وَقَدْ أَمْسَكَتْ بِعُلَبِ الكِبْرِيتِ تَشُدُّها إِلى صَدْرِها خَوْفًا عَلى ما بَقِيَ مِنْ أَلوانِها .

فَما فَعَلَ أَبوها ؟



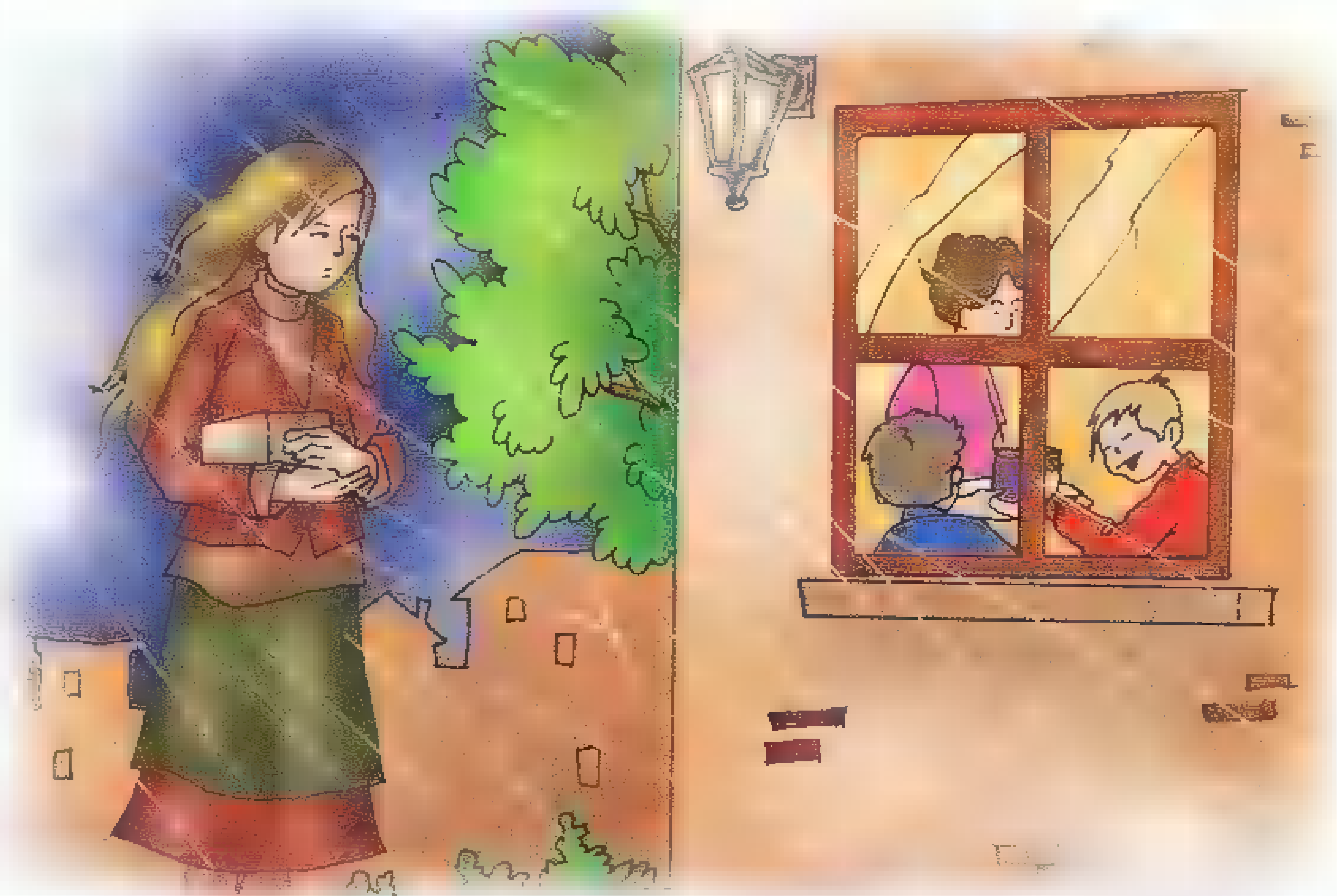
إِلْتَفَتَ أَبوها إِلى عُلَبِ الكِبْرِيتِ ، وَأَحْصاها ، فَعَرَفَ أَنَّ عَدَدَها لَمْ يَنْقُصْ ، بَلْ فَتَكَ بِأَلْوانِها المَطَرُ وَالرّيحِ ، فَصاحَ قائِلًا :

ـ وَيْحَكِ ! ماذا صَنَعْتِ بِعُلَبِ الكِبْرِيتِ ؟

وَخَفَضَتْ رَأْسَها وَهِيَ تُجيبُ بِلَهْجَةِ المَغْلوبِ عَلى أَمْرِهِ :

ـ لا هَدَأَتِ الرّيحُ ، وَلا كَفَّ المَطَرُ ، وَما الْتَفَتَ إِلَيَّ أَحَدٌ .

ـ كانَ عَلَيْكِ ، عَلى الأَقَلِّ ، حِمايَةُ عُلَبِ الكِبْرِيتِ مِنَ التَّلَفِ . أَيْنَ رُسومُها ؟ أَيْنَ خُطوطُها وَأَلْوانُها الزّاهِيَةُ ؟ تَبًّا لَكِ مِنْ فَتاةٍ طائِشَةٍ . أَما وَعَدْتِ بِبَيْعِ العُلَبِ كُلِّها ؟ وَتَكْذِبينَ ؟



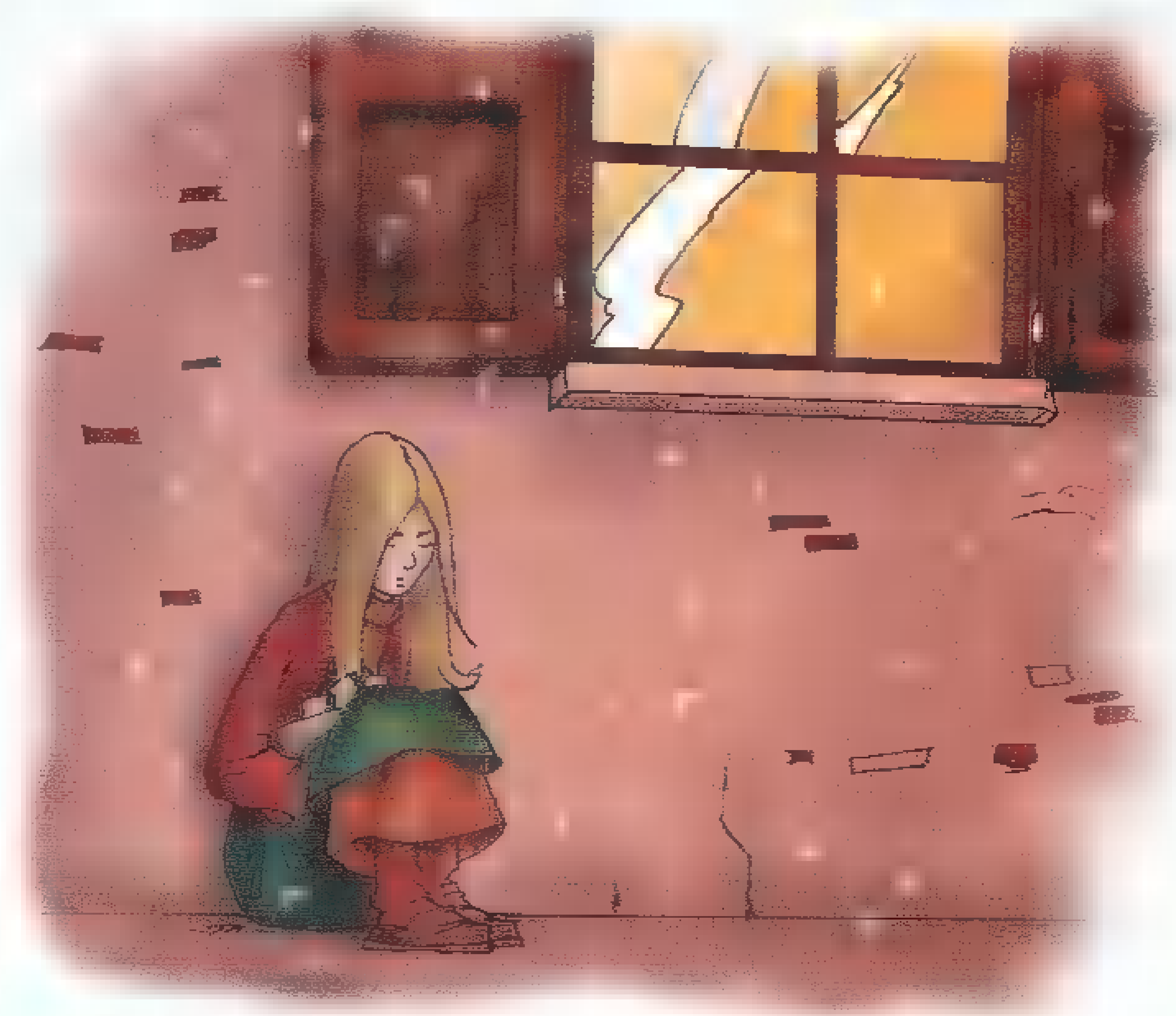
وَراحَتِ الصَّغيرَةُ تَنوحُ وَتَبْكي ، وَأَبوها لا يَنْفَكُّ يَنْهالُ عَلَيْها لَوْمًا وَتَقْريعًا . وَلَمْ تَرَ بُدًّا مِنَ العَوْدَةِ إِلى الشّارِع . مَنْ يَدري ، فَرُبَّما ابْتَسَمَ لَها الحَظُّ وَالْتَقَتْ رَجُلًا طَيِّبَ القَلْبِ يَشْتَري بَعْضَ عُلَبِ الكِبْريتِ .

وَعادَتْ إِنْغريدْ إِلى الشّارِعِ ، فَهَلْ تَخَلّى عَنْها سوءُ الطّالِعِ وَابْتَسمَ لَها الحَظُّ ؟

كانَتِ الشَّوارِعُ خاوِيَةً خالِيَةً إِلّا مِنْ بَعْضِ الكِلابِ الشّارِدَةِ . وَقَدْ بَلَغَ العيدُ ذُرْوَتَهُ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، وَما زالَ النّاسُ في بُيوتِهِمْ يَحْتَفِلونَ كِبارًا وَصِغارًا بِحُلولِ العامِ الجَديدِ . وَكانَتْ أَغانيهِمْ وَصَيْحاتُ ابْتِهاجِهِمْ تَخْتَرِقُ النَّوافِذَ المُغْلَقَةَ ، وَتَتَساقَطُ عَلى سَمْعِ بائِعَةِ الكِبْريتِ . وَأَكْثَرُ ما كانَ يُؤْلِمُها ، صَيْحاتُ الأَوْلادِ المُبْتَهِجينَ وَهُمْ في مِثْلِ عُمْرِها ، لا لِأَنَّها تَحْسُدُهُمْ عَلى فَرَحِهِمْ ، بَلْ لِأَنَّها

تَغْبِطُهُمْ على أَهْلِهِمْ وَبُيوتِهِمْ الَّتي يَشيعُ فيها الدِّفْءُ ، إِذْ إِنَّ المَواقِدَ العامِرَةَ بِالحَطَبِ تَتَصاعَدُ مِنْها أَلْسِنَةُ النّيرانِ الحَمْراءُ هازِئَةً بِالبَرْدِ وَالصَّقيعِ . ناهيكَ بالمَوائِدِ الحافِلَةِ بِأَطايِبِ المَأْكولاتِ وَالحَلْوى ، فيما هِيَ تَتَلَوّى بَرْدًا وَجوعًا .

وَنَظَرَتْ مِنْ حَوْلِها فَرَأَتِ المَطَرَ قَدْ كَفَّ هُطولُهُ ، وَراحَ الثَّلْجُ يَنْهَمِرُ وَيَتَكَدَّسُ عَلى الطُّرُقاتِ ، وَالكِلابُ لَجَأَتْ إِلى أَرْوِقَةِ المَنازِلِ ، وَلَمْ يَبْقَ في الشَّارِعِ غَيْرُ ... بائِعَةِ الكِبْريتِ الصَّغيرَةِ ! .



وَخَشِيَتْ أَنْ تَعودَ إِلى البَيْتِ خالِيَةَ الوِفاضِ مِثْلَ المَرَّةِ الأُولى ، وَتَساءَلَتْ في نَفْسِها : «وَهَلْ بَيْتُنا الحَقيرُ أَقَلُّ تَعَرُّضًا لِلْبَرْدِ مِنْ هذا الشّارِعِ المَهْجورِ ؟ وَهَلْ أَعودُ



فَأُثيرُ عَلَيَّ نَقْمَةَ أَبي مَرَّةً أُخْرى ؟ وَما نَفْعُ بَيْتٍ لا يَعْرِفُ دِفْءَ النّارِ وَلا حَرارَةَ العاطِفَةِ ؟ لا شَكَّ في أَنَّ الشّارِعَ هذا أَرْحَمُ مِنْ بَيْتِنا !»

وَانْثَنَتْ إِلى جِدارٍ تُظَلِّلُه شُرْفَةٌ فَسيحَةٌ ، وَجَلَسَتْ أَرْضًا ، وَتَكَوَّمَتْ عَلى نَفْسِها وَهِيَ تَشُدُّ إِلى صَدْرِها عُلَبَ الكِبْريتِ .

وَبَقِيَتْ عَلى تِلْكَ الحالِ ساعَةً حَتّى اشْتَدَّتْ مَوْجَةُ الصَّقيعِ ، وَشَعَرَتِ الفَتاةُ أَنَّها قَدْ تَموتُ مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ . إِذّاكَ خَطَرَتْ لَها فِكْرَةٌ فَقالَتْ لِنَفْسِها : «وَما يَمْنَعُ أَنْ أُضَحِّيَ بِبَعْضِ أَعْوادِ الكِبْريتِ ، أُشْعِلُ مِنْها عودًا بَعْدَ آخَرَ ، فَأَشْعُرُ بِلَمْحَةٍ مِنَ الدِّفْءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى فَلا يَقْضي عَلَيَّ الصَّقيعُ ؟» .



وَمَدَّتْ يَدَيْها ، فَفَتَحَتْ عُلْبَةً ، وَسَحَبَتْ مِنْها عودًا واحِدًا مِنَ الثِّقابِ ، وَكَأَنَّها تَخْتَلِسُ من خِزانَةِ جَواهِرَ عِقْدًا مُرصَّعًا مِنَ الماسِ. وَأَشْعَلَتِ العودَ ، فأرسلَ لَهيبًا مُضيئًا . وَراحَتْ تَتَأَمَّلُ اللَّهيبَ وَقَدِ انْتابَها فَجْأَةً شُعورٌ لَذيذٌ ساحِرٌ . وَتَخَيَّلَتْ أَنَّها جالِسَةٌ أَمامَ مِدْفَأَةٍ كَبيرَةٍ مِنَ الحَجَرِ ، باطِنُها قِرْميدٌ أَحْمَرُ ، وَفي أَرْضِها حَطَبٌ مُشْتَعِلٌ تَتَصاعَدُ مِنْهُ أَلسِنَةُ نارٍ راقِصَةٌ ، تَلْتَهِمُ البَرْدَ وَتَنْفُثُ الحَرارَةَ اللَّطيفَةَ مِنْ حَوْلِها .

وَلكِنْ سُرعانَ ما احْتَرَقَ العودُ كُلُّهُ ، فَاخْتَفَتِ المِدْفَأَةُ مَعَ انْطِفاءِ لَهيبِهِ ، وَعادَ البَرْدُ القارِسُ يلسَعُ بَدَنَ الفَتاةِ الصَّغيرَةِ .

وَكَمْ تَأَسَّفَتْ لِأَنَّ شُعورَها بِالدِّفْءِ كانَ قَصيرَ الأَجَلِ . كانَ حُلْمًا رائِعًا عُمْرُهُ أَقَلُّ مِنْ عُمْرِ لَهَبِ النّارِ المُشْتَعِلِ في رُؤوسِ أَعْوادِ الثِّقابِ . وَما مَضَتْ ثَوانٍ ، حَتّى عادَتْ تَقولُ لِنَفْسِها : «سَوْفَ أُضَحّي بِعودٍ آخَرَ أَمَلًا في عَوْدَةِ الحُلْمِ اللَّذيذِ .» .



وَأَشْعَلَتْ عودًا ثانِيًا ، فَما إِنِ انْدَلَعَ اللَّهَبُ السّاحِرُ حَتّى خُيِّلَ إِلَيْها أَنَّها جالِسَةٌ إِلى طاوِلَةٍ تَحْفِلُ بِأَلْوانِ الطَّعامِ الشَّهِيِّ ، وَأَنَّ ديكًا حَبَشِيًّا ، مَطْبوخًا مَنْفوخًا ، يَتَوَسَّطُ المائِدَةَ ، يَسيلُ لِرُؤْيَتِهِ اللُّعابُ .

وَمَدّتْ يَدَيْها نحوَ ديكِ الحَبَشِ المَشْوِيِّ المَقْلِيِّ المدوَّرِ وَكَأَنَّهُ البَدْرُ في تَمامِهِ ، المُحَمَّرِ وَكَأَنَّهُ سَبائِكُ الذَّهَبِ الخالِصِ ، وَلكِنْ ، يا وَيْلاهُ ، سُرْعانَ ما انْطَوَتِ المائِدَةُ وَتَبَخَّرَتْ ، وَطارَ الدّيكُ ، وَانْطَفَأَ عودُ الثِّقابِ . وَعادَ البَرْدُ وَالجوعُ يَلْسَعانِ أَحْشاءَ الفَتاةِ الصَّغيرةِ .



وَمَرَّتْ فَتْرَةٌ مِنَ الأَلَمِ لا تُطاقُ ، فَقالَتْ إِنْغريدْ في نَفْسِها :

«صَحيحٌ أَنّي لَمْ أرَ وَلَمْ أَذُقْ إِلّا خَيالًا بِخَيالٍ . لكِنَّ هذِهِ الأَحْلامَ الباطِلَةَ

جَميلَةٌ تَشْرَحُ الصَّدْرَ ، وَتُساعِدُني عَلى احْتِمالِ البَرْدِ وَالجوعِ .» . وَما قالَتْ هذا في نَفْسِها ، حَتّى أَشْعَلَتْ عودًا ثالِثًا ...



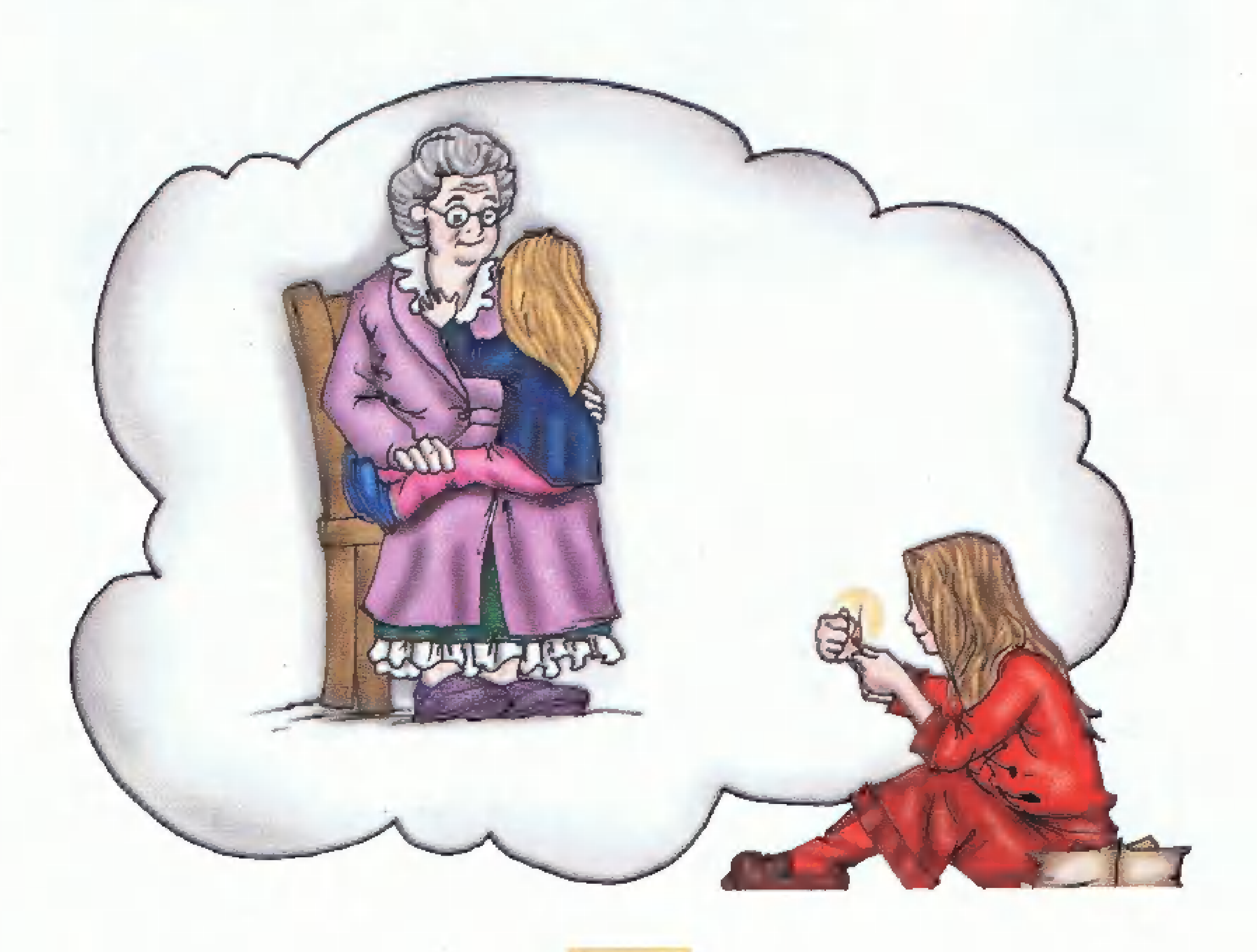
وَتَراءى لَها ، من خِلالِ اللَّهَبِ ، شَجَرَةُ عيدٍ في زاوِيَةٍ مِنْ مَنْزِلٍ فَخْمٍ ، واسِعِ الأَرجاءِ ، وَكانَتْ تسطَعُ بِالشُّموعِ ، تَتَدلّى مِنْ غُصونِها مَصابيحُ صَغيرةٌ مِنْ كلِّ لَوْنٍ ، وَمِنْ كُلِّ حَجْمٍ ، وَحَوْلَها أَطْفالٌ ، بَعْضُهُمْ في مِثْلِ عُمْرِها ، ثِيابُهُمْ قَشيبَةٌ ، وَهُمْ مُوَرَّدو الخُدودِ ، يُنْشِدونَ مَعًا أُغْنِيَةً مَرِحةً تَرْحيبًا بِالسَّنةِ الجَديدةِ .

وَلٰكِنْ سُرْعانَ ما انْطَفَأَ عودُ الكِبْريتِ ، وَعادَ اللَّيْلُ وَالبَرْدُ وَالجوعُ . فما كانَ مِنْ إِنْغريدْ إِلّا أَنْ أَشْعَلَتْ عودًا رابِعًا ...

وَكَمْ كانَتْ دَهْشَتُها عَظيمَةً حينَ شُبِّهَ لَها تَشْبيهًا أَنَّها في حِضْنِ جَدَّتِها العجوز . نَعَمْ ، فَقَدْ كانَ لإِنْغريدَ اليَتيمَةِ الأُمِّ جَدَّةٌ طَعَنتْ في السِّنِّ ، وَهِيَ جَدَّتُها لِأُمِّها ، وَقَدْ حَضَنَتْها مِنْ بَعْدِ وَفاةِ والِدَتِها وَقامَتْ مُقامَها ، وَلٰكِنْ سُرعان ما فارَقَتِ الحَياةَ ، حينَ كانَتْ بائِعَةُ الكِبْريتِ ما تَزالُ في أَوَّلِ عَهْدِها بِالمَشْيِ واللَّعِبِ .

وَحينَ تَصوَّرَتْ أَنَّ جَدَّتَها عادَتْ تَحْضُنُها ، إِنْحَنَتْ عَلَيْها العَجوزُ ، وَغَمَرَتْها بِعَيْنَيْنِ واسِعَتَيْنِ تَسيلانِ حَنانًا ، وَقالَتْ لَها :

ـ أُطلبي ما تَشْتَهينَ يا حَفيدَتي الجَميلَةُ ، فَقَدِ اِنْتَهَتْ أَيّامُ التَشَرُّدِ وَالعَذابِ ...





وَهَتَفَتِ الفَتاةُ بِأَعْلى صَوْتِها قائِلَةً :

ـ أَرْجوكِ يا جَدَّتي ، خُذيني مَعَكِ قَبْلَ أَنْ يَنْطَفِىءَ عُودُ الكِبْريتِ ...

وَعِنْدَ صَباحِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، لَيْلَةِ رَأْسِ السَّنَةِ ، رَأى النّاسُ في الشَّوارِعِ ، قُرْبَ جِدارٍ تَعْلوهُ شُرْفَةٌ عالِيَةٌ ، فَتاةً صَغيرَةً ، شَعْرُها أَشْقَرُ ، مُسْبَلٌ عَلى كَتِفَيْها الهَزيلَتَيْنِ ، وَقَدْ تَجَمَّدَتْ مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ ، وَقَدْ تَناثَرَتْ مِنْ حَوْلِها عَلى الأَرْضِ عُلَبُ كِبْريتٍ مُلَوَّنَةٌ ، وَبَقايا أَرْبَعَةِ عيدانٍ مُحْتَرِقَةٍ ، وَعَيْناها الواسِعَتانِ مُنْفَتِحَتانِ عَلى عالَمٍ سَعيدٍ بَعيدٍ ...

إستثمار تربويّ

أوّلًا — في فهم القصّة

١. كَيْفَ كانَ والِدُ إِنْغريد ، وَماذا فَعَلَ ؟ وَما كانَتْ رَدَّةُ فِعْلِ النّاسِ ؟
٢. ما صادَفَ إِنْغريد بَعْدَ خُروجِها مِنَ البَيْتِ لَيْلَةَ العيدِ ؟ وَكَيْفَ واجَهَتِ الأَمْرَ ؟
٣. كَيْفَ واجَهَها والِدُها بَعْدَ دُخولِها البَيْتَ ؟ لِمَ رَأَتْ أَنْ تَعودَ إِلى الشّارِعِ ؟
٤. كَيْفَ كانَتِ الشَّوارِعُ ؟ وَما كانَ أَكْثَرُ ما يُؤْلِمُ إِنْغريد ، وَلِماذا ؟
٥. ماذا قَرَّرَتِ الفَتاةُ ؟ هَلْ نَفَّذَتْ قَرارَها ، وَلِماذا ؟
٦. هَلْ تَرى أَنَّ نِهايَةَ هذِهِ القِصَّةِ كانَتْ مُتَوَقَّعَةً ؟ بَرِّرْ رَأْيَكَ .

ثانيًا — في التَّعْبيرِ

١. مُشْكِلَةُ الفَقْرِ في المُجْتَمَعاتِ قَديمَةٌ جِدًّا . ما رَأْيُكَ بِهذِهِ الظّاهِرَةِ : سَبَبُها ، ظَواهِرُها ، عِلاجُها ...
٢. يَقْسو الوالِدُ عَلى ابْنَتِهِ ، وَيُجْبِرُها عَلى بَيْعِ عُلَبِ الكِبْريتِ ، وَالبِنْتُ لا تُواجِهُهُ. لِماذا ؟
هَلْ بِإِمْكانِها أَنْ تَقِفَ مَوْقِفًا آخَرَ ؟
٣. تَنْتَهي هذِهِ القِصَّةُ بِمَوْتِ البائِعَةِ الصَّغيرَةِ . أَيُعْجِبُكَ هٰذا الحَلُّ ؟ لِماذا ؟
٤. العَطاءُ ظاهِرَةٌ مُهِمَّةٌ ، هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُبَرِّرَ مَوْقِفَ النّاسِ الَّذينَ لَمْ يُساعِدوا إِنْغريد لَيْلَةَ العيدِ؟ ما كانَ الأَجْدَرُ بِهِمْ ؟

ثالثًا — في اللُّغة

١. ما تاءُ التَّأْنيثِ ؟ ما حَرَكَتُها ؟ مَتى تَتَحَرَّكُ بِالكَسْرَةِ ؟ أَمْثِلَةٌ مِنَ النَّصِّ .
٢. دُلَّ عَلى اسْمِ إِنَّ وَأَخَواتِها ، وَعَلى خَبَرِها في القِصَّةِ .
٣. ما عَلامَةُ جَزْمِ المُضارِعِ المُعْتَلِّ الآخِرِ ؟ مَثِّلْ مِنَ القِصَّةِ .
٤. أَعْرِبْ : ـ اِلْتَفَتَ أَبوها إِلى العُلَبِ وَأَحْصاها .
ـ مَدَّتْ يَدَيْها نَحْوَ ديكِ الحَبَشِ .
ـ رَأَى النّاسُ فَتاةً صَغيرَةً ، شَعْرُها أَشْقَرُ ، وَقَدْ تَجَمَّدَتْ ...



دار المكتبة الأهليّة